فان التوفي قبض الشيء بتمامه علة لكون التوفي مستعارا من الموت لعدم ان التوفي ههنا لا يمكن حمله
على الحقيقة اذ النائم ليس بمقبوض بتمامه فوجب حمله على المجاز بان يراد منه الانامة قوله
لتحقق البعث ترشيحا للتوفي بما يلايم المستعار منه وهو الموت فان التوفي وان استعير للنوم الا
انه قرن بما يلايم الموت وهو البعث ترشيحا للاستعارة ويرد عليه ان كونه ترشيحا يقتضي ان يكون
للبعث اختصاص بالموت ولا يستدعي النوم وليس كذلك اذ يقال بعثه من نومه اذا ايقظه ويجاب
به في المطول وذلك ان يتكلف ويقول الامر كذلك بحسب اللغة الا ان البعث حقيقة شرعية
في احياء الموتى في الآخرة قوله تعالى ليقضى اجل قراءة الجمهور ليقضى على بناء المفعول ورفع
اجل على انه قائم مقام الفاعل واشار المصنف بقوله ليبلغ المتيقظ اجره اجله المسمى له في الدنيا
الى ان الفاعل المتروك هم المخاطبون الذين انامهم الله تعالى ثم ايقظكم اي ثم يبعثكم ويوقظكم
في النهار لكي تقضوا وتبلغوا وتستوفوا اجل الحياة الى الموت على ان يراد بالقضاء اتمام الشيء
كما في قوله تعالى وقضاهن سبع سموات وان يراد بالاجل المسمى اخر المدة من وقت الولادة
الى الموت لا اخر المدة من وقت الموت الى البعث ولما كان ايقاظ النائمين بعد ما استمروا
على النوم مدة تشبيها باحياء الموتى بعد ما استمروا على الموت مدة استدل به على صحة البعث
والنشور فقال ثم اليه مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون في ليلكم ونهاركم في جميع اعماركم قوله
وقيل الخطاب للكفرة عطف على ما يدل كلامه في تفسير الآية من كونه الخطاب لعامة من انامه الله
وايقظه الى ان يوفي اجله المسمى له في الدنيا مؤمنا كان او كافرا واختاره لان كون المتبادر من ظاهر الآية
ان يكون الخطاب فيها لعامة المكلفين من المؤمنين والكفرة وتخصيص الخطاب بالكفرة عدول
عن الظاهر من غير مخصص الا انه على تخصيص الخطاب بالكفرة لا بد ان يحمل ما اكتسبوه في الليل والنهار
على ما يليق بهم من كونهم في الليل كالجيفة الملقاة وكونهم في النهار مشتغلا بالآثام والمعاصي على خلاف ما عليه
العقلاء فانهم ينامون لان يستريح به قواهم ويتقووا بذلك على طاعة الله ويستنبطون الاكتساب
ما فيه مرضاة الله تعالى والعمل بما كلفوا به وعلى هذا القائل لا يجعل البعث بمعنى الايقاظ من النوم بل
يجعله بمعنى البعث من القبور بناء على ذكره بعد استيفاء آجالهم من حيث كونهم في الليل كالجيفة الملقاة
وفي النهار مشتغلين بانواع الشهوات والبعث الواقع بعدها انما هو بعث الاموات من القبور فان قلت كيف

كيف حمل البعث عليه مع ان قوله ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى يأبى عن حمل البعث عليه لان البعث
في القبور ليس علة لقضاء الاجل المسمى قلنا يراد بالاجل المسمى حينئذ اخر المدة من وقت الموت الى البعث
لا مدة الحياة والبعث من القبور علة لاستيفاء تلك المدة بتمامها قوله وهو القاهر فوق عباده القاهر
الغالب في القاهر معنى زائد ليس في القدرة وهو منع غيره عن بلوغ المراد وقوله فوق عباده يحتمل
ان يكون ظرفا منصوبا بقوله القاهر وفوقيته تعالى وان كانت توهم كونه تعالى في جهة الا انها
لما كانت مستحيلة في حقه جعلت استعارة تمثيلية حيث شبهت غلبته على عباده وقهره اياهم كيف شاء
بعلوه وفوقيته حسا فجعل فوقهم على طريق اطلاق اسم المشبه به على المشبه كانه قيل وهو الغالب على عباده
حيث ينفذ ارادته ومشيئته وقدرته فيهم ولا ينفذ مشيئة احد منهم في حقه ويحتمل ان يكون فوق
عباده في محل الرفع على انه خبر ثان او بدل من الخبر او منصوبا على انه حال من المستكن في القاهر
ومن وجوه قهره وغلبته انه قهر الممكنات المعدومة بالايجاد والتكوين والممكنات الموجودة بتدبيره
في كل واحد منها على حسب ما يليق بشانه واقتضته الحكمة ولكل ضد بما له ضد عليه فقهر
الظلمة بالنور والنور بالظلمة والليل بالنهار والنهار بالليل وقهر العناصر التي هي مادة
البدن فانها مع كونها مختلفة الطبائع متضادة الكيفيات قد الف الله تعالى بينها ومنعها بان خلع
عنها كيفياتها المتضادة واودع بدلها كيفية واحدة متوسطة بين تلك الكيفيات الصرفة
المتضادة وقهر الروح والبدن مع كون احدهما من العالم العلوي العرشي والآخر من العالم السفلي الارضي
جمع بينهما بقدرته الكاملة بحيث الفت الروح الناطقة مع كونها ذات تجرد وتمتع بالبدن السفلي
المتوجه الى الفناء والفساد حتى كرهت مفارقته قيل في حقها الروح من نور عرش الله
مبدؤها وفرقه الارض اصل الجسم والبدن فتالف الملك الجبار بينهما ليصلحا لقبول العهد
والمحن والروح في غربة والجسم في وطن كان جم غريبا نائح الوطن فاذا تأملت هذه الاسرار
المودعة في الممكنات من العلويات والسفليات والذوات والصفات علمت ان كلها مقهورة
تحت قدرة الله تعالى مسخرة بتسخير الله تعالى وهو القاهر فوق عباده ومن جملة قهره تعالى
لعباده ارسل عليهم الحفظة لحفظ اعمالهم كما قال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين وقال
ويرسل عليكم حفظة وهي جملة فعلية معطوفة على الجملة الاسمية قبلها وهي قوله وهو القاهر

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1